

# خطاب صاحب الجلالة الملك أمام منتخبي الرشيدية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

**رعايانا الأوفياء سكان إقليم الرشيدية**

لست في حاجة لأن أعبر لكم عما يخالبني من سرور ومسرة وفرح عميق بزيارة إقليمكم وباللقاء بكم والإجتماع معكم، ولا عجب أن نكون مسرورين فرحين، لأن هذا الإقليم كان دائما وسيظل إقليم الرجولة والوفاء، وبالأخص إقليم حملة كتاب الله سبحانه وتعالى.

فما دمتم سكان إقليم الرشيدية متعلقين بالقرآن حافظين له ومحافظين عليه وعلى تعاليمه فسيعينكم الله دائما وأبداً على التغلب على الصعاب، لأن إقليمكم إقليم صعب ومحتاج إلى العمل اليومي وإلى جهاد ضد الطبيعة وجهاد للرفع من مستوى المعيشة، وبالأخص لضمان المستقبل، لماذا أقول ضمان المستقبل ؟ لأننا نسمع أنه كانت في يوم من الأيام حضارة ومدنية في صحرائكم هذه اسمها سجلماسة، وسجلماسة هذه إذا لم تخني ذاكرتي مدينة بنيت حوالي سنة 138 هجرية قبل أن تكون الدولة المغربية واقفة على رجليها، ويقال عن سجلماسة بناء على الحفريات والأفلام التي شاهدناها والأوصاف التي ذكرها المؤرخون أنها كانت مدينة بل عاصمة من العواصم الكبرى في ذلك الوقت، ويقال عنها ومن خلال تخطيطاتها إن بعض شوارعها كانت تضاهي شوارع الشان ايليزي بباريس سواء في طولها أو عرضها. ولكن ماذا وقع لسجلماسة ؟ وقع لها أمران، أولا الإهتمام السياسي والإقتصادي والرواج انتقلت كلها للشمال فقدت قيمتها السياسية والتجارية.

والأمر الثاني الذي وقع لها وهو من أخطر الأمور أصبحت مقبورة في الرمال، إن العمل الذي يجب أن تقوموا به ويقوم به أبناؤكم وحفدتكم ليس هو رفع مستوى معيشة السكان فقط، ولكن محاربة يومية ضد الطبيعة ومع الطبيعة، ضد الطبيعة السلبية ومع الطبيعة الإيجابية، وإذا كانت الرمال من عناصر الطبيعة فالنخيل والماء والماشية من عناصر الطبيعة، فيجب علينا محاربة الطبيعة السلبية وتكوين الطبيعة الإيجابية التكوين اللازم حتى يمكن إن شاء الله — لحفدتكم ولحفدة حفدتكم الذين سيكونون أكثر منكم أن يعيشوا أحسن ممَّا نعيشه نحن، وأن يوسعوا رقعة الفلاحة والماشية وجميع الأنشطة التي هي واجبة ولازمة لمجتمع يريد أن يعيش سعيداً فرحاً مرحا ينفع نفسه وينفع باقي أقاليم وطنه.

لا أقول : إنَّنا في ظرف عام أو عامين أو ثلاثة أعوام سنكون قد أحطنا بجميع المشاكل ونوعيتها وسنكون قد أنجزنا جميع المنجزات، لا، ولكن العمل الذي يجب أن نقوم به هو عمل ينقسم إلى قسمين :

أولا : المحافظة على رأس المال الموجود عندنا.

ثانيا : إيجاد الخيرات التي كونت رأس المال هذا، رأس المال الذي عندنا ولله الحمد واحة من الرشيدية حتى تافيلالت تعد أكبر واحة في العالم، هذا هو الذي يجب أن نحافظ عليه.

ثالثا : يجب أن نحافظ على السواعد والرجال الذين سيعملون بهذه الواحة، لا يجب أن نتركهم يهاجرون



إلى المدن ويغادرون مناطقهم وهذا يقتضي منا أن نجد لهم السكن اللائق بهم ونوفر لهم شبكة الماء والكهرباء ونخلق لهم مناخا يحسون فيه أنهم كرماء ومحترمون.

ذكرنا العناصر الموجودة، ومن العناصر الموجودة كذلك الماء، ولكن ليس فقط الماء الذي نشاهد، بل أيضا المياه الجوفية العميقة والنصف العميقة، نحن الآن بصدد إحصائها ومعرفة كميتها وإلى أي حد يمكن استعمالها.

ولكن هناك مياه أخرى موجودة غير أنها تضيع، وأعتقد شخصيا أن أحسن مشروع يمكن أن نقوم به وسنعطي الأمر بالشروع في العمل فيه هو أن نجعل من وادي زيز ومن وادي غريس وادياً واحداً لسقي الواحة كلها.

ولما نلقي نظرة على خريطة المياه ومقادير الأمطار نلاحظ هنا ظاهرة غريبة في وادي غريس، فوادي غريس لما تكون السنة إيجابية يكون مقدار مياهه قليلا، ووادي زيز يمكن أن يتحمل الكثير، ولكن من أغرب الأمور أنه في السنوات العجاف ينزل منسوب المياه في زيز، ويزداد منسوب المياه في غريس، فإذا حاولنا أن نجمع بينهما فسواء كانت السنة ممطرة أو غير ممطرة سنكون قد ضمنا على الأقل للوحات والفصة وللزيتون والزرع والماشية كذلك الحد الأدنى من الماء.

وإذا لم تخني ذاكرتي أنني رأيت على الخريطة أن كل شيء يبتدىء من ناحية سد سيدي ابراهيم، وبعد ذلك هناك موقع اسمه الحميدات كان يسمى من قبل دار اليهودي، ومن هناك نعتبر أن ماء وادي غريس إذا عرفنا كيف نفرغه في وادي زيز بصرفه إلى الضفاف ولا نتركه يصرف إلى الجهة اليمنى ويضيع، ولا يكون نافعا إلا إذا صرفناه نحو الجهة اليسرى، ليتمكن من الوصول إلى وادي زيز ويمكن إذ ذاك أن يجري في قنوات في الواحة كلها، وبذلك نكون قد ضمنا المياه الكافية للري في السنوات العجاف وفي سنوات القطاف.

هذا المشروع كان من المقرر أن يتم في ظرف سنة ونصف أو سنتين، وبعدما أطلعنا على التخطيطات وتذاكرت مع الوزارات المختصة والمهندسين المختصين وبعدما درست المشكل مع عاملنا هنا رأينا أن هناك فرصة لا يمكن أن تضيع وهي فرصة الأمطار التي ستنزل في الخريف والتي يجب أن تذهب إلى الجهة اليمنى، يجب على الأقل أن نكسب هذه المياه وتفرغ في زيز وبعد ذلك تنتشر في تافيلالت كلها، ولهذا أعطينا أوامرنا للبدء فورا في إنجاز المشروع فجميع المصالح سواء مصالح الفلاحة أو التجهيز متفقة على أننا يمكن أن نبدأ غدا الاثنين في الصباح في إنجاز المشروع، وفي ظرف سبعة أشهر سينجز هذا المشروع ونتمكن من الإستفادة من أمطار الخريف الأولى، ولي اليقين أنكم ستشاهدون التغيير الجذري الذي سيحصل بالنسبة للواحة، هذا ليس كافيا فهناك أعمال أخرى يجب إنجازها فستكون جهات أخرى سنجلب منها الماء.

وهناك ناحية بوذنيب التي لها الحق في الماء، فهي واحة كبيرة بها واد وتتوفر على ماء، ولكن هذا كله يقتضي يقظة ذهنية فكلما وفرنا كمية من الماء نكون قد وفرنا سنين من التعب والمشقة.

فإقليمكم — ولله الحمد — يتوفر كما قلت لكم على الرجال والنخيل وعلى ماشية مهمة كذلك، ولكن لابد أن ندخل لإقليمكم نوعا جديداً من الماشية، لماذا لأنه تفاديا لزحف الرمال بعد عشرات السنين لابد من وجود نوع من العشب لا يحتاج إلى الكثير من الماء وبفضله لن تبقى لكم الفصة وحدها، وسيسمح لنا هذا العشب بتربية ماشية أخرى، وأنتم تعلمون أن الفرق بين الغنم والبقر هو أن الأغنام عندما تكون ترعى فإنها

لا تقضم العشب فقط بل تقتلعه من جذوره خلافا للبقر أو الجمال، فليس لنا أي مصلحة في أن تزرع لكم هذا النوع من العشب الذي لا يحتاج إلى الماء ويمنع زحف الرمال ونترك الأغنام ترعى فيه علما بأنها تقتلع الجذور، إذاً لابد من أن نعيد النظر في ماشيتكم، فتافيلالت كانت مشهورة بالجمال ولكن لا أرى فيها الآن جمالا، والجمال يمكن أن تأكل أي شيء من «الدرك» إلى أي شيء آخر، و «الدرك» يمكننا أن ننبته.

لا يمكن أن نكتفي بالدمان والفصة، وإن كان الدمان من نعمة الله سبحانه وتعالى، الجمل يأكل الفصة أو علف التمر، والنعجة تلد مرتين في السنة ومنها من يكون معها ثلاثة أو أربعة خرفان، ولكن هذه الأغنام لا تأكل سوى الفصة أو علف التمر، وهما مادتان مغذيتان، فلذلك لا يمكن أن نتركها ترعى أي نوع من العشب لكي تعطي ما هو منتظر منها، يجب أن نحافظ على الدمان لأنه خاص بكم، وأن ندخل إلى منطقتكم في نفس الوقت ماشية أخرى تتحمل قلة الماء مثل الجمال التي ستنفعكم في الركوب عليها ونقل أحمالكم وهي معروفة بالصبر، ولا تنسوا أننا منذ استرجاعنا لأقاليمنا الصحراوية — ولله الحمد — أصبح المغرب يضطر لاقتناء الجمال من جهات أخرى، لأن إخواننا في الصحراء يستعملون الجمال كثيراً وكانوا في أيام الإستعمار الإسباني لا يأكلون اللحم كل يوم ولا كل شهر، ولكن اليوم — ولله الحمد — يأكلون لحم الجمال كل يوم، ويجب أن يأكلوه كل يوم، لذا يجب عليكم أن تتكاملوا مع إقليم ورزازات لتساعدوا الأقاليم الأخرى.

تناولنا الآن الجانب الفلاحي ومسألة الماء والماشية، وبالطبع لن آتي لكم بمعجزات ولكنني لا أكون نذيراً ولا بشيراً بل أردت أن أبين لكم مشاكلكم وكيفية حلها والتغلب عليها، ولكن وسائل عيش الإقليم لا تنحصر — ولله الحمد — في الفلاحة فقط، بل لكم كذلك نوع من الصناعة لزم أن نعينكم على التنقيب أكثر فأكثر، ويجب أن تنظموا أنفسكم بطريقة مرضية، وهذا النوع من الصناعة يشغل اليد العاملة ويدر الرزق على بعض العائلات، وأخيراً إن منطقتكم جميلة وواحتكم جميلة ولكن يلزمها أن تتفتح وتفتح شيئاً ما من الناحية السياحية على الأقاليم الأخرى.

فوضعكم شبيه بوضع زاكورة، فالسائح لما يذهب إلى ورزازات يسمع بزاكورة ويريد زيارتها وإذا زارها فيضطر للعودة إلى ورزازات ليتوجه إما لجهة أجدير وإما لجهة تافيلالت.

كذلك السياح الذين يزورون الريصاني يضطرون للعودة إلى الرشيدية ليذهبوا إلى جهة أخرى، إن السائح يحب التنوع، فهو يريد كما يذهب مثلا للرشيدية أن يذهب إلى الرفود، ومن الرفود يتوجه إلى زاكورة ومنها إلى ورزازات ثم إلى أجدير ومنها يأخذ طريقه إلى المدن الساحلية كالصويرة والرباط وطنجة، لابد إذاً أن تنظر وزارة السياحة ووزارة التجهيز في شبكة الطرق السياحية حتى لا تبقى مدنكم التقليدية والتاريخية سجينة.

ولما نفتح هذه الطرق — إن شاء الله — لي اليقين أنكم ستشاهدون أعداداً كبيرة من السواح يزورنكم هنا.

إننا لا نقصد بالسياحة سياحة الأوربيين فقط فالمغاربة بدأوا يقومون بالسياحة، والروح السياحية بدأت تخلق في المغاربة، فمثلا لا يوجد في مدن الجديدة والصويرة في الصيف سوى القليل من السواح الأجانب، فتقريبا تسعون أو ثمانية وتسعون في المئة من السواح الذين يأتون للمدن المغربية المطلة على البحر هم من السواح المغاربة فمثلا طنجة يكثر زوارها في الصيف حيث ان المغاربة أصبحوا يالفون الخروج من مدنهم ويتوجهون إلى مدن أخرى، فإذا ضمنتم لأنفسكم السياحة الوطنية والسياحة الأجنبية فستضمنون للمغرب العملة الصعبة وستضمنون لبلادكم رواجا للدرهم، لما يأتي السائح ويمكث عندكم ثلاثة أو أربعة أيام سيشتري هدايا وينفق أموالا، إذاً السياحة



شيء مهم.

لهذا أطلب من المجلس البلدي للرفود والمجلس القروي للريصاني وبلدية الرشيدية والمجلس الإقليمي أن يدرسوا هذا الموضوع دراسة دقيقة مع الجهات المختصة وستشاهدون خيرها قريبا.

وعندي لكم نصيحة قبل أن أختم كلمتي، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (حب الأوطان من الإيمان)، وحينما نقول الأوطان لا أعني بها فقط البلاد التي لها حدود وعلم، نعني كذلك حب مسقط الرأس، الوطن كذلك هو مسقط الرأس.

علموا أولادكم أن يحبوا إقليمهم وعلموهم النظر بتلهف إلى أجدير والرباط والدار البيضاء ومكناس ومراكش وفاس وغيرها، علموهم حب بلادهم، ففيها ما يحب، سواء من حيث المناخ أو المناظر أو التقاليد أو البيئة البشرية والخلقية والعاطفية، كذلك علموهم أن حياة الكد والجهد اليومي أحسن من حياة إنسان يبيع في دكان من الثامنة صباحا إلى الثانية زوالا ومن الثالثة زوالا حتى الثامنة ليلا ويقول : أنا عملت، هذا عمل بالتأكيد، وكل عمل مشرف عمل، ولكن الإنسان الذي يغرس شجرة أولى أن يشاهدها وهي تعطي أكلها، فهذا الإنسان خالق بعد الله ومبدع.

أعرف أنكم لما يأتي الجفاف تقتسمون الماء الذي تشربونه مع نخيلكم والماء الذي تغتسلون به مع فصتكم، وهذا يدل على أن لكم قيمة بشرية لا قيمة المستهلك أو البائع أو المشتري، أنتم أناس تحبون ما تبدعون، وهذه ثروة بشرية قليل من ينتبه إليها ويعطيها قيمتها، فما دمتم تحبون ما تبدعون فستبقون أولئك الرجال الذين نعرفهم شرفاء في أنفسهم، همتهم عالية، لا يرضون أن يمدوا أيديهم ولو كان بهم خصاصة، أولئك الناس الذين يحمدون الله ويقنعون، ولكنهم على استعداد ليحاربوا ويجاهدوا لتحسين أحوالهم، أولئك الحاملون لكتاب الله المهتدون بأخلاق نبيه، أولئك الناس الذين سيبقون على كل حال بمزاياهم، كثر الله من أمثالكم، ووفقكم وحفظكم، وأعانكم على الخلق والإبداع، وكثر خيراتكم وأحسن سبحانه حالكم، إنه مجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

26 رجب 1406 — 6 أبريل 1986